مسرح

سامح ال علي





لحم ودم

رؤية تجريبية

(١) التجريب على الممثل

لحـــــم ودم

(مسرحية من فصل واحد)

كتبها

سامح ال علي

* سامح عبد الرءوف علي الجزار.
* الشهرة: سامح ال علي.
* ليسانس فلسفة، جامعة عين شمس.
* فنان بالبيت الفني للمسرح.
* عضو اتحاد الكتّاب.
* حصل على عدة جوائز منها:
  - جائزة المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية عن تأليف أوبريت "الرحبة" عام ١٩٩٧.
  - المركز الأول في مسابقة محمد تيمور للإبداع المسرحي عن مسرحية "قبل صدور الحكم" عام ٢٠٠٠.
  - جائزة دار الأدباء عن تأليف أوبريت "الرحبة" عام ٢٠٠٤.
* قام بكتابة الأشعار لعدد من المسرحيات بمسرح الدولة منذ عام ١٩٩٦.
* قام بالإعداد وكتابة السيناريو للعديد من البرامج والأفلام التسجيلية لقناة النيل الثقافية.
* أسس فريق "الموصولية" للغناء الصوفي عام ١٩٩٩.
* أسس فريق "غية" للغناء الفلكوري عام ٢٠٠٣.
* قام بكتابة الأغاني للعديد من الفرق الغنائية.

الإهـــــــداء

(من عرفتهم من لحم ودم)

خالد البراشي : الأخ والصديق والإنسان.

يوسف سلام : أخي الذي كان لا يفارقني.

أيمن مكرم : صديقي المناضل الذي صدق النضال.

سامي الجزار : أخي وابن أبي وأمي وأول من ألقى بي في طريق الفن.

مروى فاروق : الإنسانة والحبيبة والروح.

الأبطال التراجيديون في الحياة

(الذين رحلوا عن دنيانا وقد أحببتهم من لحم ودم)

خالي علي سلوم : العبقـــري والحبيـــب... الغائـــب الحاضر والحاضر المستمر.

الشاعر نبيه محفوظ : فانوس الفقراء.

المبدع محمد لاشين : قمر الرجوع.

المبدع صبحي السيد : نجم تجارة عين شمس... قل للموت إنه لم ينتزعك من قلبي.

الشاعر توفيق درغام : ابن البلد المكافح.

الفنان الكبير عبد الغفار عوده: القيمة والقامة والصديق.

الصحفي الشهيد طارق أيـوب: (مراسـل الجزيـرة) إلـى فاطمة.. بأي ذنب قتلت؟

أ.د. أحمد العشري : الصديق والأب والمعلم... قبلة على يدك.

سامح العلي

ثم إلى أمي....

(قبلة تحت قدميك)

ابنك

سامح

مهم جدًا قبل الدخول على النص

التجريب على الممثل:-

المقصود هنا بالتجريب هـو علـى أدوات الممثـل الداخلية والخارجية – أي قدرته على استخدام الخيال والتخيل والدخول في الحالة التمثيلية والخروج منها وتبنـي الحالـة المضادة (النقيض) بنفس الصدق في أدائه للحالة الأولى وذلك باستخدام كل أدواته كالتعبير بالجسـد والتمثيـل الصـامت أو الإيمائي (المايم) وإقامة حوار مع الشخصـيات المتخيلـة سواء كان هذا التحاور على مستوى الحركة (الفعـل أو رد الفعل) أو على مستوى الحوار الكلامي (بالسؤال والإجابـة) وقياس قدرته على توصيل إجابة السؤال الـذي لـم يطـرح للمتلقي على مستوى الحوار الكلامي الذي هو بالفعل غيـر مكتوب في النص المسرحي.

فأبطال مسرحية "لحم ودم" هم أربعة ممثلين (ولـدين وبنتين) يقومون بأداء كل الشخوص في العرض ويخرجـون من حالة ويدخلون في الحالة المضادة ويتعاملون مع الديكور المتخيل ويقومون بردود أفعال بناء على فعل متخيل وعليهم

في رد فعلهم أن يكون لديهم القدرة على أن يصلوا بـ المتلقي للفعل المتخيل وأن يصلوا بالجمهور إلى فهم الكلام المتخيـ ل بناء على قدرتهم في رد الجملة الحوارية.

المشهد الأول: **صراع الأنا** (**من أجل الذات**):

موسيقى تعبر عن بدء الخليقة قبـل الـدخول فـي المشهد.

يعلو صوت الموسيقى التي توحي بروح العبادة مـع دخول الإضاءة.

العمق في الخلفية عبارة عن ستارة بيضاء مثبتة من أعلى متحركة من أسفل، يلامس طرفها مستوى مرتفع ينحدر ثلاث درجات تنتهي إلى المستوى الأول الذي هو الارتفـاع الطبيعي لخشبة المسرح.

إضاءة مكثفة بألوان مختلفة على الستارة البيضاء.

مساحة التمثيل:-

يقف الممثلان (أ) و(ش) فـي منتصـف المسـرح وينظران إلى الستارة في حالة خشوع وتعبد.

يسجد ممثل (أ) للداخل – يقف عن يساره ممثل (ش) الذي يهم بالسجود ولا يسـجد. ينظـر (ش) إلـى السـتارة البيضاء، ثم ينظر إلى (أ) ويمتد بنظره خلف (أ) وكأن خلف

(أ) مجموعة من الساجدين، وتتغير الموسيقى إلى موسـيقى غاضبة.

يشيح (ش) بوجهه ويدور على قدميه عكس الساجدين المتخيلين خلف (أ) ويصبح في مواجهة الجمهور.

يعلو صوت الموسيقى الغاضبة التي تتخللهـا كلمـة (أنا.. أنا)، مع تداخل سريع وغير منتظم في الإضاءة.

يتألم (ش) وينظر إلى (أ) ويتحرك بتوعد في اتجاهه وتحدث تغيرات في الإضاءة ويكون (ش) قد ارتـدى قنـاع قبيح ثم يختفي (ش) من المشهد كأنه اختطف.

تسقط بقع ضوئية بألوان مختلفة على الخلفية ومساحة التمثيل مع تداخل في الأصوات الموسيقية بحيث تعبر عـن مزيجا غاضبا في الحالة المسرحية يصل إلى ذروته.

إظـــــلام

المشهد الثاني: **صراع الأنثى** (**من أجل المرأة**):

في الخلفية صحراء وجبل منحوت به كهف وشجرة في العمق. تجلس فتاتان في منتصف المسرح، مع مصـاحبة موسيقى توحي بانتظار الحبيب. الفتاتان ترتـديان ملابـس بدائية وتتزينا (إحداهما جميلة والأخرى دميمة). يدخل ممثل (هـ) من اليسار مسرعا إلى فتاته الجميلـة ويقبـل يـدها ويتبادلان الحب.

ثم يدخل ممثل (ق) بخطوات متخاذلة وينظـر إلـى فتاته الدميمة بضيق، ثم ينظر إلى (هـ) وفتاته بضيق وحقد ثم يجلس في المنتصف بين الفتاتين ويحـاول لمـس الفتـاة الجميلة فينهره (هـ).

ثم تبدأ الموسيقى في التغير لتصور الصـراع بـين (هـ) و(ق) ويتداخل صوت الغراب مع الموسيقى، ثم يحدث الصراع بين (هـ) و(ق) بعنف شديد، والفتاتـان تـدوران حولهما في شكل استعراضي، إلى أن يمسـك (ق) بحجـر ويضرب به (هـ) فيقع قتيلاً.

يذهب (ق) ليحتضن الفتاة الجميلة، تأتي الفتاة الدميمة لتحتضنه – يدفعها (ق) فتقع على جثة (هـ) وهي تصـرخ مع صوت الموسيقى المستنكر.

يذهب إليها (ق) ويأخذها في حضنه، ويحتضن (ق) الفتاتين بعنف وسعادة.

تدفعه الفتاة الجميلة فيقع على الأرض وهي تجـري في العمق.

يجري (ق) خلفها ويمسك بقدمها ويتعلق بها وهـي تقف على مستوى أعلى منه وهو منبطح على الأرض ومـن خلفه الفتاة الدميمة تمسك بقدمه.

ومع انسحاب صوت الموسيقى يعلو صوت الغـراب في الخلفية.

إظـــــلام

المشهد الثالث: **صراع التملك** (**من أجل السيطرة**):

الخلفية عبارة عن شاشة عليها الكرة الأرضية مقسمة منذ البداية (يابس وماء) ثم بداية العمران البشري في الكون بتدرج إلى أن نصل إلى خريطة للكرة الأرضية.

أثناء ذلك يدخل ممثل (أ) ومعه حبل ويربط طرف الحبل في منتصف المسرح من الداخل والطرف الآخر في مقدمة المسرح بحيث يقسم المسرح قسمين بالطول ويضع حجرا عند طرف الحبل ويخرج.

يدخل ممثل (ب) من الكالوس الآخر وينظر إلى حبل (أ) بامتعاض وينقل الحبل ويضع حجرا بحيث تكون مساحة ملكيته أكبر من مساحة (أ).

يدخل (أ) ويرى ما حدث، يبدي استياؤه ويقوم بنقل الحبل والحجارة ليأخذ مساحة أكبر وهكذا... إلى أن تحدث المواجهة.

إلى أن يدخل الاثنان في توقيت واحد، يلقي كلاهما الحجر على الآخر، ويحدث الصراع فيما بينهما.

الخلفية على الشاشة تصور الصراع والحروب التاريخية في فترات متفاوتة مرتبة ترتيبا تاريخيا.

يجهز (أ) علـى (ب) ويخنقـه، فيقـع (ب) علـى الأرض.

يقف (أ) منشيا، ويحاول (ب) الوقوف.

ينظر (أ) إلى يساره ويستقبل خنجرا (كأن أحدا ألقى بالخنجر إليه) ويذهب إلى (ب) ويطعنـه فيقـع (ب) علـى الأرض متأثرا بالطعنة.

يدور (أ) حول (ب)، وفي كل مرة يدور حوله تتغير الخلفية بصور جديدة لأدوات القتل التي صنعها الإنسان على مر العصور.

يقاوم (ب) ويحاول الوقوف، ينظر إليه (أ) ويمد يده (كمن أُلقي إليه بمدفع رشاش) ويأخذ وضع التصويب ويطلق عليه الطلقات، فنسمع صوت الطلقات مجسما ويقع (ب) قتيلاً ويدور (أ) حوله.

على الشاشة مكتوب "الإنسان يصنع الأدوات التـي تقتله"، وهذه العبارة مكتوبة بالعربية والإنجليزية والعبرية، ثم بعد ذلك تستعرض الشاشة مجازر وحروب العصر الحـديث من الحرب العالمية الأولى والثانية... والبوسنة والشيشـان،

الجبل الأسود، سراييفو، قصف العراق ومجازر الجزائر.... إلى أن نصل إلى صناديق الشهداء في فلسطين.

أثناء ذلك يلقي (أ) بقنبلة على (ب) – صـوت دوي القنبلة إظلام مؤقت – يخرج كلا الممثلين.

الشاشة عليها حوادث محمد الـدرة وإيمـان حجـو وأحمد ياسين... وجرائم القتل العديدة التي يرتكبهـا جنـود الاحتلال الصهاينة في حق الشعب الفلسطيني، مع الأغنية:-

مين اللي قال إن اللي قاتل بكره مش هيكـون قتيـل
واليهود أصـل الخيانـة مصـطلح ملهـوش بـديل
واللي ـالي الكـافرة طاالـت ع القلـوب الطيبـين
بكره تترد المظالم ع اللي ظالم واللي قال يا دم سـيل

الشاشة عليها صور لمظاهرات غاضبة من كل أنحاء العالم لما يحدث في فلسطين مع موسيقى تنم عن الثورة على لحن أغنية "**بالروح بالدم، بالشهداء في حضن الأم**".

يندفع فتيان ملثمان من خلف شاشة العرض، الفتيـان الملثمان يلهثان كأنهما فارين لتوهما من جنود الاحتلال أثناء المظاهرة.

باسم : استطعنا أن نفلت بأعجوبة يا حسام.

حسام : ليتنا ما فررنا يا باسم.

باسم : كانوا يطلقون علينا النار بجنون.

حسام : دائما يضربون بجنون، هل بعد قتل الأطفـال جنون؟ وقعت القنبلة المسيلة للدموع بجواري فألقيتها عليهم، كنت أتمنـى أن تكـون قنبلـة تبيدهم جميعا.

باسم : رأيتك وأنت تلقيها، ألم تحرق يدك؟

حسام : نار قلبي أقوى منها.

(صوت لأقدام جنـود الاحـتلال – كلمـات بالعبرية)

باسم : احذر، إنهم قادمون.

حسام : أسمع صوت أقـدامهم، فأحـذيتهم يغسـلونها بالدماء ولها رائحة لحم الآدميين.

باسم : ماذا سنفعل الآن؟

حسام : سنقاتل.

باسم : بلا سلاح؟

حسام : بيدي.

باسم : اصبر، فأمامنا مهام... لا تكن متهورا حتى لا تُقتل.

حسام : مرحبا بالموت من أجل الوطن.

باسم : أرجوك.. فك اللثام... ليس بهذه الطريقة نحصل على حقنا.

(يرفض حسام فك اللثام – يفك باسم اللثام له بيده بسرعة وعنف)

حسام : (يصرخ) بأي طريقة إذًا يا عشاق لون الدم ورائحة اللحم الآدمي؟

باسم : أرجوك اهدأ (يمسكه ويضع باسم يده على فم حسام ويعلو صوت أقدام جنود الاحتلال الصهاينة) غن، غن أرجوك، غن معي.

(يبدأ حسام في الغناء ويضع ظهره بظهر باسم ويدوران حول بعضهما وكأن جنود الاحتلال يطوقونهما وهم يغنون)

حسام وباسم : **بحبك بلابل تغني ليلاتي**
وأحبك سنابل بتحيي في سكاتي
وأحبك قنابل تفجر آهاتي

يـا كـل اللـي ليـه عـدى وآتـي

(يضربهما جنود الاحتلال المتخيلون)

حسـام : (يكملان الغناء)

وباسم **بحبـك بقلبـي بعمـري اللـي كـان**

يا نهر المحبـة يـا صـوت الكمـان

في صوت الكنايس فـي حـس الأدان

في بكره اللي جي في صبحه المـواتي

بحبـك شـفايف بتضـحك تمامـي

وأخدك في حضـني وغصـنك يمامـي

وننـك يلاغـي وعينـك تقـولي

ألاقـي شـفايفك حافظـة حكايـاتي

(يزيد جنود الاحتلال من تعذيبهم)

حسـام : **وأحبـك سـكاتي وأحبـك آهـاتي**

وباسم **وقلـب الشـهيد بيرفـع رايـاتي**

وبحلـم نهـاري وشـارد ليلاتـي

يا أجمـل عيـون بتعشـق سـماتي

(مع نهاية الأغنية يكونان قد وصلا لـلأرض

وهما مكبلان من الخلف وملقيان على وجهيهما ثم يقومان ببطء وإعياء كأن أحدا يوقفهما ثم يبدأ التحقيق معهما كأن جنود الاحتلال يسألون وهما يجيبان).

جندي الاحتلال : ....؟

حسام : أنا موسيقي.

جندي الاحتلال : ....؟

باسم : أنا ممثل.

جندي الاحتلال : ....؟

حسام : لم يعد هناك مكان لأغني فيه.

جندي الاحتلال : ....؟

حسام : الناس لا يسمعون، كيف أغني وإيقاع السماع عند الناس ضبط على صوت طلقات الرصاص؟

جندي الاحتلال : ....؟

حسام : صوت رصاصكم أعلى من أي غناء.

جندي الاحتلال : ....؟

حسام : جئت أبحث عن عمل.

جندي الاحتلال : ....؟

باسم : لقد حرقتم المسرح... (بحسرة) كيـف أمثل لك ويدي مربوطـة وإحساسـي بالذل أعلـى مـن أي حالـة أحـاول تقمصها؟

جندي الاحتلال : (يضربه)..........؟

باسم : ليس معي تصريح.

جندي الاحتلال : ....؟

باسم : التمثيل خيال وما يحدث فاق الخيال.

جندي الاحتلال : ....؟

باسم : لأنه أول يوم لي أدخل القدس.

حسام : أنا معي تصريح، فك يـدي وسـوف أعطيه لك.

(كأن المحتل يفك يده ويخرجهـا مـن الحديد، ثم يضع حسام يده فـي جيبـه ويخرج تصـريحه، يضـربه جنـدي الاحتلال).

جندي الاحتلال : ....؟

حسام : كنت سوف أجدده اليوم.

(يقفان ويضربان، يظهر الضرب من اندفاع حسام للأمام).

جندي الاحتلال : ....؟

باسم : السجن!! لماذا؟ ونحن لم نفعل شيئًا.

جندي الاحتلال : ....؟

حسام : قلت لك إنني كنت سأجدده اليوم.

باسم : (ضجرا) لم التصريح ونحن في بلادنا، تبا للأوضاع المعكوسة، هذه بلدي (يصرخ) يا عشاق لون الدم ورائحة اللحم الآدمي.

(يضربهما جنود الاحتلال المتخيلون ضربا مبرحا ويقعان على الأرض من كثرة الضرب الذي يتلقيانه من كل اتجاه).

الخلفية على الشاشة تصور جنود الاحتلال وهم يطلقون الرصاص، وجثث الفلسطينيين وصناديق الشهداء وكأنها حالة دراما متصلة مع نزول الأغنية:-

أعزل وحقي ضايع حتى النفس مكتوم

من إني أعدي الشارع من خطوتي محروم

والظلم فـاق الحـد والكيـل فـاض منـي
بقولها للي ظالمني ساعة الحسـاب اليـوم

إظـــــلام

المشهد الرابع: **الزنزانة**:

الخلفية عبارة عن حوائط سوداء تقطعهـا خيـوط بيضاء (فسفورية) لتعطي شكل الحجارة الضخمة التي بنيت بها الزنزانة.

يجلس اثنان (فتاتان هما فاطمة ومريم) ولا يظهـر منهما إلا الحطة الفلسطينية.

الإضاءة تظهر تدريجيا عليهما ثم إظلام – ثم تظهر الإضاءة على كليهما بالتتابع.

موسيقى اغتصاب مع رقصـة تعبيريـة وكأنهمـا يغتصبان حتى يقعا على الأرض.

إظلام لثوانٍ – ثم تدخل الإضاءة ببقعتين ضـوئيتين على الفتاتين، ثم نسمع صوت باسم يصرخ من الخارج وهو يضرب، ويدفع إلى الداخل وهو في قمة انفعاله.

باسم : لن أترك حقي في شرب دمـائكم يـا قتلـة الأنبياء.

(ثم يدخل حسام مدفوعا بعنف وهو يقع على الأرض، والدم يسيل على وجهه وهو منهك وفي قمة ثورته).

الإضاءة خافتة لا تُظهر ملامح حسام وباسم – الزنزانة شبه مظلمة.

حسام : حتى الموت لن يمنعني من تمزيقكم، أطفالنا قادمون أقوى من رصاصكم، سـوف ألـون يدي بدمائكم وأسد أنفي حتى لا أشم رائحـة لحمكم الخائن.

باسم : رفقًا بنفسك يا أخي.

حسام : أي نفس أرفق بها وهـي ذليلـة، (يصـرخ بإعياء) فلتزهق هذه النفس.

باسم : أنت جريح.

حسام : كلنا جرحى، الجرح جرح الكرامة، (يصرخ في اتجاه الباب) لكن الوقت حـان لنعـيش بكرامة أو فلنمت شهداء يا خونـة المسـيح،

وباعة موسى، وأعداء محمد، سوف نقـتلكم حتى لو كان الخيار بحور دمائنا سـنغرقكم فيها.

باسم : اهدأ جرحك عميق، اهدأ فأنت لا تدرك مـا أنت فيه.

(يدفع حسام باسم وهو يقـع علـى الأرض ويقوم بصعوبة وهو في قمة انفعاله)

حسام : بل أدرك، والكل يدرك، فبلادنا تسلب، أيامنا تسرق، أحلامنا تحرق، أحزاننا أنهار تغرق، فكيف لا أكون مدركًا؟

باسم : يا حسام أرجوك، أنت تنزف بغزارة.

حسام : (يصرخ) لن أهدأ، فدماء الشهداء لن تهـدأ، ودموع الأمهات لن تهدأ، وذكورة حكام الأمة إن قامت لن تهدأ، كيـف أهـدأ ورصـاص الصهاينة في صدور أطفالنا لم يهدأ – كيـف أهد......أ – كيف أهد....أ.

(حتى يقع حسام على الأرض دون حراك)

باسم : (يهزه) حسام... حسام... ماذا بك؟

(يضع باسم أذنه على صدر حسام، يفك باسم اللثام من حول رقبته ويمسح به دماء حسـام التي تسيل على وجهه، ثم يضع اللثام علـى الجرح على جبين حسام ويلف بـه رأسـه، ويحاول حمله فلا يستطيع ثم ينظر إلى كـلا الجالسين في الزنزانة).

باسم : أنتما، هل تساعداني على حمله؟

(الاثنان ينظران إلى بعضهما، ويهم أحدهما بالوقوف لمساعدته، لكن الآخر يمسك يده)

فـ : (بصوت خافت) إنه يستنجد بنا.

مـ : ربما شك جنود الاحتلال الصهيوني في أمرنا فأرسلوهما إلينا.

فـ : ليسا جاسوسين، هما عربيان.

باسم : أنتما، إنه ينزف، وأنتما تتكلمان!!

فـ : نحن عرب، أصبحنا لا نملك غيـر الكـلام (تتقدم إليه فاطمة) ماذا تريد؟

باسم : ساعداني على حمله حتى يستطيع أن يستلقي.

فـ : أنت فلسطيني؟

باسم : (بحسرة) لا أعرف... احملاه معي وبعـدها نتكلم، فنحن كمـا قلـت عـرب لا نجيـد إلا الكلام.

(تتقدم فاطمة لتحمله – تـراه فاطمـة وهـم يحملونه، تندهش – تصرخ – وتأخذ حسـام في صدرها وتبكي).

فاطمة : حسام.... حسام

(وباسم مذهولاً من كونها فتاة)

مريم : هل تعرفينه؟

فاطمة : (وهم يحملونه) سلطان الحب يعرف كلينا.

مريم : أهو الذي......؟

فاطمة : نعم... هو يا مريم (تضـمه إلـى صـدرها كطفل صغير)

باسم : (بذهول) مريم؟! وأنت فتـاة! فتاتـان فـي المعتقل! كيف؟ من أنتما؟

(تترك مريم رجل حسام التي تحملها وتهرع إلى باسم وتضع يدها على فمه)

مريم : اسكت حتى لا ينفضح الأمر.

باسم : أنا لا أفهم شيئًا.

مريم : ومن منا يفهم شيئًا، لا تبحث عن الفهم حتى لا تجن.

باسم : كيف دخلتما إلى هنا؟

مريم : كنا أنا وفاطمـة ضـمن مظـاهرة نطالـب بالإفراج عن سجناء الأمس، فاعتقلونا اليوم.

باسم : المظاهرة التي كانت أمام السجن؟

مريم : نعم، ألقوا علينا االقنابـل المسـيلة للـدموع والرصاص المطـاطي والطلقـات الحيـة، وطوقونا بالدبابات وفتحوا لنا باب المعتقـل وأجبرونا على الدخول.

باسم : وكيف لم تكتشفا؟

مريم : لأننا كنا وسط القطيع الـذي زج بـه إلـى الحظير... أقصد المعتقل، وأنت تعرف أنهم لا يخرجون أحدا إلا بعد الكشف عليه، أقصد بعد فحص جلده.

باسم : إذًا أنتما لم تُعرضا بعد على القائم بتسـجيل بيانات السجناء وأخذ البصمات، أنتمـا فـي

الانتظار إذًا.

مريم : كلنا في الانتظار... ربما نعرض بعد قليل.

باسم : لا، في الغد يبـدأ عـرض المعتقلـين فـي الخامسة صباحا وينتهي في الخامسة مسـاء، سليني أنا، فهذه المرة الرابعة التي أدخل فيها المعتقل لمجرد الاشتباه.

مريم : المرة الرابعة! مازلت صغيرا.

باسم : المحتلـون الصـهاينة لا يخـافون إلا مـن الصغار، أما الكبار فقد عرفوهم.

مريم : أنتم كبار بما تفعلون و.....

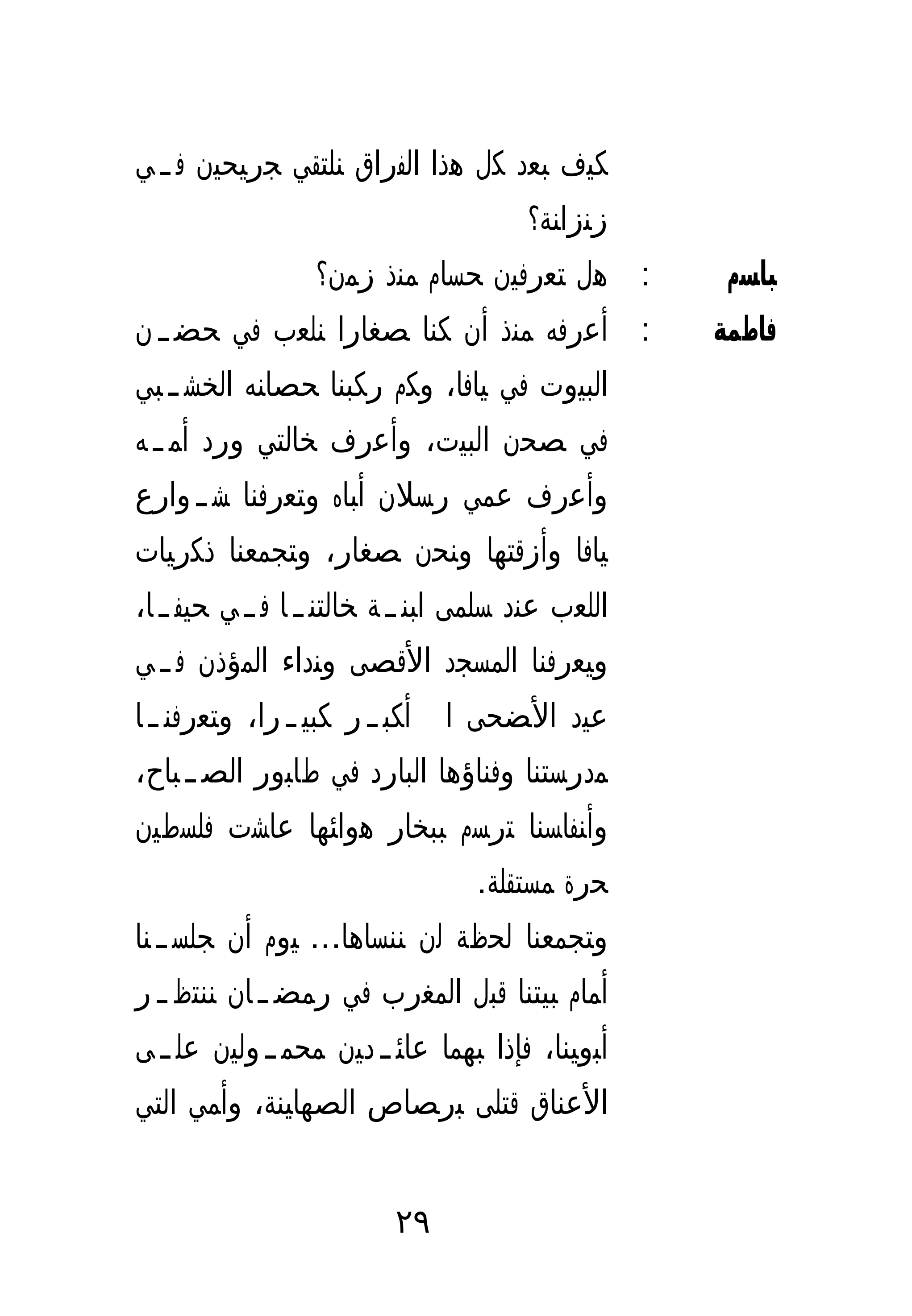
باسم : نحن صغار أمام حقنا... الآن لو علم جنـود الاحــتلال الصــهاينة بحــالكم لقتلــوكم أو اغتصبوكم.

حسام : (يصرخ وهو يهذي على صدر فاطمة)

لا، لا... الدم بالدم... ولحمنا مر لا يؤكـل، لا يا أبناء ال....

(يعود حسام إلى غيبوبته)

فاطمة : (تبكي) حسام، أفق يا حبيب العمـر أفـق...



كيف بعد كل هذا الفراق نلتقي جريحين في زنزانة؟

باسم : هل تعرفين حسام منذ زمن؟

فاطمة : أعرفه منذ أن كنا صغارا نلعب في حضن البيوت في يافا، وكم ركبنا حصانه الخشبي في صحن البيت، وأعرف خالتي ورد أمه وأعرف عمي رسلان أباه وتعرفنا شوارع يافا وأزقتها ونحن صغار، وتجمعنا ذكريات اللعب عند سلمى ابنة خالتنا في حيفا، ويعرفنا المسجد الأقصى ونداء المؤذن في عيد الأضحى ا أكبر كبيرا، وتعرفنا مدرستنا وفناؤها البارد في طابور الصباح، وأنفاسنا ترسم ببخار هوائها عاشت فلسطين حرة مستقلة.

وتجمعنا لحظة لن ننساها... يوم أن جلسنا أمام بيتنا قبل المغرب في رمضان ننتظر أبوينا، فإذا بهما عائدين محمولين على الأعناق قتلى برصاص الصهاينة، وأمي التي

ماتت حزنًا على أبي، وخـالتي ورد التـي تحملت الحزن حتى جاءها خبـر استشـهاد خالنا حسن في مسجد الخليل، وبعدها عرفتنا الطرقات القاسـية ونحـن مشـردين فـي المخيمات في شوارع فلسـطين المحتلـة... ويعرفنا حلم الـوطن الحـر الـذي أقسـمنا عليه... أفق يا حبيب القلب ورفيق الـدرب، أشتاق لسماع صوتك، لغنائك، هل تذكر آخر مرة كنت تغني؟

(ثم تبدأ في الغناء مع الإظلام)

بكره تعودي... بكره تعودي

ياللي وجودك أصل وجودي

الأغنية مستمرة والمسرح مظلم

إظـــــلام

المشهد الخامس:

حسام يجلس على مستوى مرتفع في منتصف المسرح، وهو يعزف على عوده وحوله ولد وبنت.

حسام : (يغني)

بكره تعودي ياللي وجودك أصل وجودي

بكره تعودي يا زهرة قلبي

وأحضن حلمك وأصحاب عودي

بكره تعودي..... بكره تعودي

بكره تعودي يا بلد الأقصى

والأدنى ما يعيش في الأقصى

وولادك سبحان من أحصى

عشقوا عنيكي يا فاطمة جودي

بكره تعودي..... بكره تعودي

تدخل فاطمة من الكالوس وهي تترقب وتتلصص بذكاء وتنظر إلى حسام فيسكت عن الغناء، تشير إليه فاطمة أن يكمل، ثم تسأل بالإشارة أين هو؟، فيشير إليها حسام أثناء الغناء إنه في الناحية الأخرى، تخرج

فاطمة في الاتجاه المشار إليه.
ثم تعود فاطمـة وكأنهـا ممسـكة بجنـدي صهيوني من الخاف وتضع الكمامـة علـى فمه، يقع جنـدي الاحـتلال علـى الأرض، تجرجر فاطمة الجندي لتخرجه من الناحيـة الأخرى.
يعلو صوت الغناء:

بكــره تعــودي يــا ســر وجــودي

يــاللي النظــرة فــي عينــك تحيــي

يكبـــر حلمـــي وتحمـــي حـــدودي

بكــره تعــودي....... بكــره تعــودي

تدخل فاطمة وتتحرك في اتجاه حسـام، ثـم تتجه بخطوات بطيئة للأمـام وتمـد يـدها اليسرى (وكأنها) تضع يدها على كتف جندي الاحتلال (يلـف لهـا) – تطعنـه بخنجـر وتخرجه من المكان الـذي أخرجـت منـه الجندي الأول.
أثناء ذلك يعلو صوت الغناء وتعود فاطمـة

مسرعة.

تمد يدها لحسام ليعطيهـا الـديناميت الـذي يخرجه من تحت ملابسه ويكمل العزف.

تخرج فاطمة.

حسام : (يغني)

بكـــره قريـــب جـــاي يـــا طيـــب
وحيـــاة جـــدي صـــلاح مـــا تغيـــب
لنســـــوي الأحـــــلام ونطيـــــب
علـــى نـــارك يـــا أبـــو نجمـــة داودي
بكـــــــره تعـــــــــــــــــ....

(يحدث الانفجار – حسام ينظر إلـى الولـد والبنــت بانزعــاج ويصــرخ فاطمــة... فاطمـ....ـة، ويجري ناحية الكالوس الـذي خرجت منه فاطمة، الولد والبنت يمسكاه)

الولد : حسام.. ستفسد كل شـيء بهـذه الطريقـة، أرجوك.

حسام : انفجر الديناميت ولم تعد فاطمة.

البنت : إذًا هي بطلة، هذا ما اتفقنا عليه.

حسام : فاطمة ماتت.. ماتت، قتلوها أولاد الكلاب.

البنت : ماتت شهيدة.

الولد : هذا الشرف الذي دائما تحثنا عليه.

حسام : لنكن شرفاء ولنمت.

الولد : دورنا قادم.

حسام : أرجوكما، اتركاني، حبيبتي ماتت.

البنت : هي حية في قلوبنا.

الولد : هي الآن في وادي الحق... في الجنة.

حسام : ونحن في وادي الظلم وفي النار، أريـد أن أذهب إليها.

الولد : كلنا ذاهبون.

البنت : (تحذرهم بالإشارة) إنهم قادمون.

(صوت أقدام جنود الاحـتلال الصـهاينة – الصورة في الخلفية تصور جنود الاحـتلال الصهيوني وهم مدججين بالسـلاح، يخـرج الولد زجاجة من جيبه ويعطيها لحسام).

حسام ومن معه يقفون فجأة كأنهم قُطع عليهم الطريق – حسام ممسكًا بعوده وهـو متكـئ

على الولد والبنت وهم يدعون أنهم في حالة سكر وحسام في حالة سكر بين.

تراقب فاطمة الموقف من بعيد، ثم تختفي.

جندي الاحتلال : ....؟

البنت : (تضع يدها في جيبها وتخرج التصريح) اسمي وطن، من نـابلس، وأدرس فـي جامعة القدس.

جندي الاحتلال : ....؟

الولد : (يعطيه التصريح) كنا في حفل وزميلنـا هذا شرب خمرا كثيرا في الحفل.

جندي الاحتلال : ....؟

الولد : نعم، معه تصريح (يضع يده في جيـب حسام ويخرج تصريحه)

جندي الاحتلال : ....؟

الولد : نعم، شرب حتى البكاء.

(أثناء ذلك يكون جندي الاحتلال قد مـد يده إلى الفتاة ليمسك صدرها – تـزيح الفتاة يده بعنف).

البنت : التصريح وقد رأيته... أما غير ذلـك، فلا... ومن فضلك دعنا نمر.

الولد : فأنت كما ترى معنا من يحتاج للراحة.

(يتخاص حسام من الولد والبنت (وكأنه يدفع جنـدي الاحـتلال الصـهيوني... صوت طلقات رصاص – يدفع حسـام على الأرض – يضع حسام ومن معـه أيديهم فوق رءوسـهم ويتـألمون مـن ضرب الجنود لهم مع طلقات الرصاص التي تحيطهم)

يدخل قائد صهيوني (الممثلة التي تلعب دور فاطمة)

القائد : كفوا عند هذا الحد (كأنه يتلقى التحية).

(يرد التحية ويأخذ تصاريحه من علـى الأرض وينظر في التصاريح ثم يرميها عليهم بعنف)

القائد : تصاريحهم سليمة، دعوهم يمرون، فـلا وقت لدينا... فلقـد فجـر الإرهـابيون

ديناميت بجوار معسكر جنودنا، سنبيدكم أيها الكلاب.

(يتألم حسام ومن معـه كـأن الجنـدي يضربهم)

القائد : دعهم، فالسكارى لا خوف منهم.

(ثم يخرج القائد ويأمر جنود الاحـتلال بإشارة أن يخرجوا مع موسيقى بكـره تعودي)

إظـــلام

المشهد السادس: عودة للزنزانة:

فاطمة جالسة وعلى صدرها حسام.

فاطمة : ومن يومها لم نلتق.

باسم : إذًا أنتِ فاطمة التي فجـرت الـديناميت عند معبر رام ا في العام الماضي.

فاطمة : نعم أنا، وحسام الذي خطط لكل شيء.

باسم : أنتِ بطلة... أنـت رمـز لكـل فتـاة فلسطينية، الآن عرفت لماذا كان حسـام يقول أعشـق حـرف الفـاء – فالفـاء فلسطين، وفاطمة، وفن، وفجر أنتظـر طلوعه... لكنهم نشروا صـورتك فـي جرائدهم وفي الشوارع وفي الأسواق.

فاطمة : (تكمـل) ونسـفوا بيتنـا بالصـواريخ، وأحرقوا بيوت الجيران.

باسم : يبحثون عنكِ بجنون في كل مكان.

فاطمة : (بسخرية) يبحثون عني وأنا بين أيديهم.

باسم : لكنك.....

فاطمة : سوف أقتل في الصباح حينما يعرفـون

من أنا، أعرف.... كل هذا لا يهم، المهم أن ا جمعني بمن أحب قبـل مـوتي، ولعل ا يتم صنيعه ويفيق قبل فـوات الأوان.

باسم : يا ا ، ماذا يفعل سجين أمام فتاة قاتلـت من أجل الوطن، ويعلم أنها سوف تُقتل. يا من أخفى على الإنسان مصيره فـي الدنيا، رفقًا بهذه الفتـاة التـي تعـرف مصيرها، وألهمني ماذا أفعـل وعينـي تراها وأرى لحظة موتها.

(مريم تأخذ ركنًا وتتقيأ – حسام يصرخ)

حسام : لا......... لا............

باسم : (يمسكها) مريم، ما بك؟

مريم : لا شيء. (تعاود القيء بعنف)

باسم : لا شيء! إن بك.......

مريم : (تقاطعه) بي أشياء كثيرة... كحال بنات كثيرات في أرض مغتصبة، إني أريد أن أصرخ (بحسرة وهي تنظر إلـى بـاب

الزنزانة خوفًا من الحرس).

فاطمة : اصرخي يا مريم، اصرخي.

(تنظر مريم إليهم وتصرخ صرخة تخلع القلوب).

مريم : آ................ هـ

فاطمة : آ................ هـ

باسم : آ................ هـ

حسام : (من موضعه)

آ................ هـ

الجميع : آ................ هـ

(صرخة تمتد مع حسام)

الشاشة تظهـر مـن خلـف الخيـوط الفسفورية التي تكون شـكل الزنزانـة وتستعرض مجـازر جنـود الاحـتلال الصهاينة مع صور لمؤتمرات السلام مع الأغنية:

آ........................ هــ

ع الجـــرح اللـــي بينـــزف

والناس شايفاه وسمعاه وحسـاه

آ........................ هـ

والشرف انداس والعرض انداس

والكل انداس... لو يرضي الناس

طـ ـ ـب يرضـ ـ ـي ا ....

إظـ ـ ـ ـ ـلام

المشهد السابع: منزل مريم (صالة شقة مريم):

بقعة ضوئية بألوان مختلفة على مائدة الطعام التي تتوسط المسرح وحولها الكراسي المتخيلة.

مريم تعد الطعام لإخوتها في منزلهم – تتخيل مريم وجود أبيها وإخوتها، وتوزع جمل الرد في الحوار علـيهم بالنظرة وهي تضع صحن الطعام.

الأب : ....

مريم : معذرة يا أبي، هذا هو الموجـود فـي البيت اليوم، فلم أنزل للسوق.

خليل : (أخوها).....

مريم : حاضر... لحظة وأجيء لـك بـالخبز، كعادتك تأتي من الخارج جائعا.

إياد : (أخوها)....

مريم : نعم، ماذا تريد أنتَ أيضا... غسلت كل ملابسك، وهذا ما جعلنـي لـم أذهـب للسوق.

الأب : ....

مريم : لا تخف يا أبي لن أخرج، فـإنني أعلـم

أنهم يحاصرون البيوت، وأراهم من خلف الشباك في غرفتي.

الأب : ....

مريم : أنت تعرف جاسر، دائما يتأخر عن موعد الغذاء.

إياد : (أخوها)........

مريم : على الأقل هو رجل يتحمل المسئولية ويعمل ويساعد في دخل البيت.

إياد : (أخوها)..........

مريم : أنا لا أقصد شيئًا.... سأذهب لأعود بالخبز وأوقف الغسالة.

(طرق عنيف على الباب – يكسر الباب ويدخل اثنان من جنود الاحتلال).

مريم : ماذا تريدون؟ (يدفعونها فتقع على المائدة)

شاؤول : (يصوب نحوهم) ضعوا أيديكم فوق رءوسكم.

يهوديت : (تمسك مريم من شعرها) أين هو؟

مريم : من؟

يهوديت : جاسر أخوكِ... الـذي يحمـل سـلاحا وحاول قتل أحد جنودنـا منـذ سـاعة، وهرب الجبان.

(يمسك شاؤول مريم ويكبل يـدها مـن الخاف ويصوب في اتجاه الأب وكـأن أبوها قد هم لينقذها)

شاؤول : اجلس مكانك يا رجـل، اتركيهـا لـي يا يهوديت، واقلبي البيت فوق رءوسهم.

(لأبيها) قلت لك اجلـس مكانـك أيهـا الرجل ولا تتحرك وضـع يـدك فـوق رأسك.

(لأخيها) وأنتَ انبطح على الأرض.

خليل : (أخوها المتخيل).........

شاؤول : أعلم أنك تعمل لدينا في متجـر شـارل بن عمتاي، واسمك خليل، لكن أخـاك خائن.

(للأب) لا تقم أيها الكهل وإلاّ قتلتك.

يهوديت : ليس هناك أحد بالداخل.

شاؤول : إذًا سنأخذ هذه رهينة حتى يعود.

(يمسك شاؤول ويهوديت مريم ويحاولان الخروج بها، وكأن أبو مريم وإخوتهـا يحاولون منعهم – يحدث صراع وتطلق يهوديت النار عليهم، فيقعـون قتلـى – وشاؤول ممسكًا بمريم).

مريم : (تصرخ وتتخلص منه وتجري مندفعة) (وهي تبكي) لا... أبي... إياد... خليل

ثلاث بقع ضوئية لأمـاكن الأب، إيـاد، خليل.

مريم تنتقل بينهم وهي تبكي بهوس.

يدخل جاسر ويدفع شاؤول على الأرض ويحاول قتله – تطلق يهوديـت عليـه الرصاص فيقع قتيلاً.

تقف مريم في حالـة ذهـول، وتمسـك برأس جاسر وتضمه إليها وتبكي – ثـم تنتقل إلى بقعة الضوء الأولـى وتبكـي

أبي... (ثم بقعة الضوء الثانيـة) إيـاد غسلت لك كل ملابسـك... (ثـم بقعـة الضوء الثالثة) حالاً سوف آتيك بـالخبز – ثم تصرخ صرخة مدوية جاسـر... (تضمه إلى صدرها) يا فتى الفتيان.

مريم تبكي وسط الجثث، بينما شـاؤول يطلق عيارا ناريا في الهواء وينظر إلى يهوديت.

شاؤول : سنقضي الليلة هنا يـا يهوديـت، فلقـد أنجزنا ما جئنا من أجله، وبدلاً من واحد قتلنا أربعة.

(يتجه إلى مريم وينظـر إليهـا نظـرة جنسية)

يهوديت : من حقك شاؤول أن تستريح من عنـاء العمل في ليلة حمراء.

شاؤول : بل شديدة الاحمرار من كثـرة الـدماء ولدينا اللحم الصـغير (ينظـر لمـريم) مكافأة السماء لي عما أنجزته اليوم.

يهوديت : هنيئًا لك.

(يهجم شاؤول على مريم – تقاومه – يمسكها – تهرب – يخلع ملابسه ويتهجم عليها – تهرب – تمسكها له يهوديت وتوقعها على جثة أخيها جاسر وتنزع عنها ملابسها – يغتصبها شاؤول على جثة أخيها)

أثناء ذلك... أغنية:

شرف البنية راح والسند والعزوة
كانت في طور البنات دخلت في نون النسوة
من غير فرح ولا لمة كان دمها الشربات
يا كعبة المسلمين شرف الرجال كسوة

إظـــلام

المشهد الثامن: **عودة للزنزانة**:

تقف مريم في بقعة ضوء وحدها.

مريم : وأفقت فلم أجد حولي إلا دمـاء، ولـم أستطع ساعتها أن أفرق بين دم عذريتي ودماء أبي وإخوتي (تتقيـأ) والمصـيبة أكبر من كل هذا....

باسم : مريم... أنتِ (بصعوبة) حامل.

فاطمة : (مستنكرة) لا... (وهي تضم حسام) أفق يا حسام.

مريم : (تبكي بحرقة) هل عرفت الآن أن المصيبة أكبر، أنا حامل... فتاة حامل تصبح مصيبة في بلادنا لأنها حملت سفاحا... ومرغمة.
أين أنتِ يا أمي، أين أنتِ كي أبكي علـى صدرك... أمي... أمي كانـت تقـول أن أجمل لحظة في حياة المرأة حينما تعـرف أنها تحمل في بطنها جنينًا، فهـذا إعـلان للناس أنها ليست أرضا بوار... توضع فيها البذرة فتنبت زرعا يثمر.
أمي كانت تقول لي أسميناك مـريم تيمنًـا

بمريم العذراء الطاهرة وكانت كلما سـرت بي لأني أنجزت عملاً في البيت تقول لـي جزاك ا خيرا يا أم عيسى.
(تصرخ بهيستريا) حملـي الأول سـفاحا يا أمي، مريم الأرض وضعت بهـا بـذرة شيطانية يا أم مريم، مـريم حملهـا الأول سفاحا يا أم مريم، مريمك الطاهرة يا أمي لا تحمل في أحشائها عيسى، مريمك تحمل في أحشائها يهوذا يا أم مريم (تضرب على بطنها وهي تصرخ وتنهار).

باسم : (يصرخ صرخة من العمق)
لا....... لا....... لا
(الإضاءة مكثفة على باسم وهو يصرخ)
أثناء البلاك:-
شرف البنية راح والسند والعزوة

إظـــــلام

المشهد التاسع: **منزل باسم**:

إضاءة مبهجة – موسيقى رقص غربـي – بسـنت ترقص (وسط شـابين يهـوديين متخيلـين) فـي نشـوة واستمتاع، (كأن) أحدهم تعب من الرقص – بسنت تشده من ذراعه وهي تضحك.

بسنت : لن تجلس وستكمل الرقص معنا يا جيم، لا تكن مملا (تكلم الولد الآخر) قل لـه يا إيزاك أن يكمل الرقص... وهل ساعة من الرقص تكفي، مازلنا في أول الليل. (يدخل باسم غاضبا)

باسم : بسنت! ماذا تفعلين؟

بسنت : (لا تعبأ به) أكمل الرقص يا إيزاك.

باسم : بسنت! (للشابين) أنتما هيا اخرجا (وكأنه يشدهم كي يخرجهم – يذهب بهم إلـى الباب يخرجهم ويغلق الباب خلفهم ثـم يعود إلى بسنت).

بسنت : ماذا تريد مني يا باسم؟

باسم : (يمسكها بعنـف) مـاذا تفعلـين أنـتِ

يا بسنت؟

بسنت : ماذا أفعل؟ أرقص وأغني.

باسم : مع من؟

بسنت : أصدقائي.

باسم : (باستنكار) أصدقائك؟

بسنت : وجيراننا في البيت.

باسم : فرضوا جيرتهم علينا.

بسنت : وقبلناها.

باسم : إنهم يقتلون الفلسطينيين.

بسنت : الفلسطينيون المشاغبون الذين يرفضون أن يعيشوا في هدوء.

باسم : هكذا علموكي، نعم يرفضون أن يعيشوا في هدوء، أتعرفين الهدوء الذي يرغب جنود الاحـتلال الصـهاينة أن يعـيش الفلسطينيون فيه هدوء الموت، أن يهـدأ الفلســطينيون فــي قبــورهم، إنهــم يستخدمون كل أسلحة الدمار، إنها إبادة.

بسنت : أبي يعمـل معهـم، وهـم لا يقتلـون

شركاءهم.

باسم : يعمل معهم بالذل، هؤلاء لا عهد لهـم، أنتِ لا ترين كيف يتعامـل الصـهاينة معه.

بسنت : أنت تكره اليهود.

باسم : أنا لا أكره اليهود، فاليهودية ديانة ككـل الديانات، لكني أكـره الظلـم، وأكـره المغتصبين، وأكره القتلة، وهؤلاء قتلة.

بسنت : قل لأبي هذا الكلام، ولا تقله لي، فإنـه أبوك أنتَ أيضا.

باسم : بسنت.. أنت أختـي، وهـؤلاء ليسـوا أصدقاءنا فهم يقتلون كل يوم فلسطينيين عرب من جنسنا وأهلنا، وربما أبي قَبِل التعامل معهم وشاركهم، خوفًا علينا كي يأمن شرهم، لكنهم الآن أعلنوها صراحة إنهم سوف يبيدون الشـعب الفلسـطيني كله، إنهم يضربون البيوت بالصـواريخ و....

بسنت : (تقاطعه) بعيدا عنا.

باسم : دورنا قادم.

بسنت : يووه... أبي قال لي أنتِ طالبـة لـيس عليكِ إلا استذكار دروسك.

باسم : نحن فلسطينيون وما يحدث.....

بسنت : (تقاطعه) ما يحدث لا علاقة لـي بـه، ولا أُسأل عنه، فأنا أسمع كلام أبي وأنفذ كلامه، أما أنتَ فسـوف تتسـبب فـي استعدائهم علينا.

باسم : بسنت.. ألهذا الحد أنتِ....

بسنت : لا تكمــل... أتــدري لــولا هــذان الإسرائيليان ما عدت إلى البيت ولا بعد خمس ساعات، فأنت كما ترى الشرطة الإسرائيلية في كل الشوارع والميـادين، وهم يقفون عند أول شـارعنا يفتشـون الفلسطينيين بطريقة مهينة ولا يهمهم إن كان رجلاً أو امرأة، ولأني كنت أسـير معهما مررنا بسلام.

باسم : مررت بخيانة.

بسنت : المهم أنني مررت... هكذا يفعل نـاس كثيرون، مصالحهم هـي التـي تحكـم حياتهم، وهكذا تفعل دول ويفعل حكـام وإلا لما قبل العالم ما يحدث.

باسم : بسنت أنتِ.....

بسنت : أنا أفهم كل شيء، لكني سأظل كما أنا، تحت طوع أبي......

(يدخل الأب ويشير إلى جـيم وإيـزاك بالدخول)

الأب : ادخل يا جيم، وأنت يا إيزاك.

باسم : (مستنكرا) أبي!!

الأب : ماذا حدث كي تطردهم؟

باسم : يرقصان مع أختي، وفي بيتنا!

الأب : وما في هذا؟... اعتذر لهما.

باسم : اعتذر! اعتذر لهؤلاء المغتصبين!

الأب : (يصفعه على وجهه والجميع في حالـة ذهول، ثم يعتذر للشابين الإسرائيليين)

أعتذر لك يا جيم وأنت يا إيزاك.

باسم : لا يا أبي، لا تعتذر لهما، يكفي أنك ضربتني أمام هؤلاء الكلاب وهم يدنسون شرفي.

الأب : اخرس (وينهال عليه ضربا) (للإسرائيليين) اذهبا أنتما الآن ولا تغضبا من أخيكما باسم، فهو متوتر بعض الشيء.

(يخرجهما الأب بحنو وهو يربت على كتف أحدهما ويغلق الباب ويعود لباسم – باسم منهمك في البكاء بحرقه – يضع الأب يده عليه بحنو – يبعد باسم يده).

باسم : اتركني وشأني.

(ينظر الأب إلى بسنت ويشير إليها بالخروج)

الأب : شأنك هو شأني... يا بني إني أخاف عليك، يا بني لم يعد لي إلا أنت.

باسم : ولا أنا.

الأب : (بانفعال) لا فما أفعله كله من أجلك أنت وأختك، فلم يبقى لي من عائلتي إلا أنت، يا بني قُتل ثلاثة مـن أعمامـك كـانوا بالنسبة لي كأولادي بعـد وفـاة أبـي، يا بني أسميتك باسم كي أحـس بمعنـى الابتسام لأني لم أبتسم قط، مـات أبـي صغيرا وتحملت مسئولية بيـت قوامـه أمي وثلاثة صـغار وشـربت مـرار العيش، وماتت أمي وتحملت مسـئولية الصغار حتى صاروا يافعين يسعد القلب حين يراهم، ودفنتهم بيدي واحـدا تلـو الآخر، يا بني كنت أتمنـى أن أسـميك باسم أحد منهم، ولكني رفضـت حتـى لا أتذكرهم دائما بك، ومع ذلك لم أنسهم لحظة، ها أنت الآن تضعهم الثلاثة أمام عيني.

باسم : يا أبي ما تفعله معي كمن تحيطه النـار من كل اتجاه ولحظات وتحرقه، وهـو

كل ما يفعله أن يلملم ثيابه بعيدا عنهـا
وهو مصر على أن لا يبحث عن مخرج
من النار في انتظار من يطفئها.

الأب : هم أشعلوا النار وينتظرون خارجها.

باسم : لنخرج لهم ونواجههم.

الأب : رصاصهم أسرع.

باسم : يكفي شرف المقاومة، ساعتها لن يتخلى
ا عنا لأننا أصحاب حق، أموت فـي
سبيل حقي.

الأب : كفاك، فلن أتحمل أن يقتلوك.

باسم : وأنا لن أتحمل الذل ولن أقبل أن أعيش
ذليلاً في بلادي، أرضى بالذل من أجـل
العيش! لماذا إذًا كانـت نهايـة الحيـاة
موت؟ أعيش حرا أو أموت شهيدا.
(يخرج مسرعا ويعود بسكين ويجـري
مسرعا)

الأب : (ينادي عليه بقـوة) باسـم... باسـم...
تحملت من أجله وهو لم يتحمـل مـن

أجلي.

بسنت : (تدخل مسرعة مذهولة) أبــي.... لقــد خرج وفي يده السكين.

الأب : (يصرخ) لا... لقد ضاع كل شيء.

موسيقى أغنية "بالروح بالدم"

إظــــــلام

المشهد العاشر: **عودة للزنزانة**:

الإضاءة على فاطمة بشكل مكثف وهي تجلس وعلى صدرها حسام المتخيل وهي تضمه بعنف.

فاطمة : أفق يا حسام، يا معنى الرجولة في الوطن.

(بينما باسم جالس ظهره في ظهر مريم ورأس كل منهما في صدره. ومع كل جملة من فاطمة، يبدآن في الصعود إلى أعلى ويزومان بموسيقى الأغنية)

فاطمة : أفق يا حسام الأمة الغائب....

(مريم وباسم يبدآن في الصعود من الجلوس لأعلى ببطء)

فاطمة : مهما غيبوك فأنت الحامي والظهر والسند.

باسم ومريم : (في تصاعد على مستوى الحركة والكلام، يغنون مع المطرب)

بــــــالروح بالــــــــدم

بالشــهداء فــي حضــن الأم

لو هنخليها دمار
كفيانا ذل وهم

فاطمة : يا حسام، مادام نفَسك يسكن صدرك فقاوم وابحث عن حقك.

باسم ومريم :
بالروح بالأقصى
بالوطن النايم يصحى
بالشهداء بعلم الإحصاء
حافظين أساميهم صم

فاطمة : يا حسام الأمة ، لا تجعل الأوغاد يدنسون أرضك وأنت فيها.

باسم ومريم : (وأصوات المعتقلين في الزنازين الأخرى معهم في الخلفية بحماس)
بالروح بالكعبة
الحسبة يا ناس مش صعبة
الحسبة حسبة أمة
نامت لولاد العم

فاطمة : يا حسام، إخوتك من لحمك ودمك كل

يوم يقتلون وأنت في غيابك، فأين أنـت
يا حسام البيـت والأخ وسـتر الأخـت
وعين الرجولة، أين أنت؟

باسم ومريم : (وصوت آلاف المعتقلين معهم)

بـــــالروح بالشـــــــعب
مـــش بالساســـة واللعـــب
هنـــدوس علـــى كـــل الصـــعب
ويـــا ديـــل الكلـــب اتلـــم

الجميع : (بما فيهم فاطمة)

بــــــالروح بالــــــــدم
يــــا ولاد الخـــال والعـــم
الشـهداء فـي حضـن الأقصـى
شـــهداء مـــن لحـــم ودم

(تعلو أصوات المعتقلـين بهتـاف مـع أصوات طلقات الرصاص ثـم يقـتحم الحارس عليهم الزنزانة).

الحارس : صمتًا أيها الكلاب، ألا يكفيكم أنكم فـي الزنازين.

الثلاثة : حتى ولو في قبورنا.

الحارس : هكذا إذًا (ويشد أجزاء البندقية ويصوبها في اتجاههم) قوموا جميعـا وانبطحـوا على الأرض.

(تضع فاطمة حسام المتخيل – ويتحرك باسم بالجملة وهو ينظر إلـى المكـان المفترض فيه حسام نائما)

باسم : لكن، هذا مريض لا يستطيع أن يقوم من مكانه.

الحارس : انبطح أنتَ، وأنا سوف أجعله ينبطح.

(ينبطح الثلاثـة علـى وجـوههم فـي منتصف الزنزانة – يذهب الحارس إلى المكان النائم فيه حسام المتخيل ويتعامل الحارس معه ويمسكه مـن كتفـه كـي يجلسه)

الحارس : قم أيها الجبان.

الثلاثة : (يتألمون) آهـ ـ

(معبرين عن رد فعل حسام)

الحارس : (يحاول إيقافه) قم يا حامي الأمة.

الثلاثة : (يتألمون بشكل جماعي) آهـ

الحارس : قم، فدماؤك القذرة لوثت يدي.

(مع كل حركة من حركات الحـارس، الثلاثة يتألمون إلى أن يلقيه الحارس إلى جوارهم وهم يصرخون).

الجميع : آهـ.....

(تعبر صـرختهم عـن وقـوع حسـام بجوارهم – يـدور حـولهم الحـارس، يضرب حسام المتخيل يصرخون آهـ ـ - ثم يضرب باسم).

الحارس : ماذا تريدون منا أيها الكلاب؟ هذه أرض الرب ونحن شعب ا المختـار، لمـاذا لا تقبلـون أن تعيشـوا معنـا بسـلام (يضربهم وهم يتألمون).

مريم : سلام السلاح والقتل!

فاطمة : كيف يكون لكم وطن يا أبنـاء الشـتات ومنذ متى؟

باسم : أجدادنا للجد العاشر هنـا، سـل عـن أجدادك في دول العالم.

الحارس : أتستكثرون أن يكون لنا وطن؟

مريم : إن جميع دول العالم كرهت وجودكم في أراضيها وألقوا بكم علينا كمن يـتخلص من زبالته.

باسم : ونحن الذين سوف نلقي بزبالـة العـالم خارج أرضنا.

الحارس : (يضربهم) سوف نتخلص نحن مـنكم، ونمزقكم أنتم ومن يناصروكم.

باسم : هذه أرضنا ونحن أولى بالدفاع عنها.

فاطمة : الأرض عربية والتاريخ يشهد.

مريم : وأنتم يا أبناء الشتات فـي العـالم دون هوية.

الحارس : أرضنا وعدنا إليها.

فاطمة : أرضنا ونطرد منها!

الحارس : (يضحك بسخرية) فلنحـتكم إذًا للأمـم المتحدة.

مريم : الأمم المتحدة على الإسلام والعرب، هذا هو اسمها الكامل.

فاطمة : والشيشان تشهد، ومن قبلها البوسنة تشهد.

الثلاثة : وجنوب لبنان يشهد، ومجازركم – أيها الكلاب – في بلادنا تشهد.

(ينظرون إلى بعضهم وبإشارة جماعية ومفاجئة، يقومون ويمسكون بالحارس ويأخذون منه السلاح، وهو في حالة ذعر).

الحارس : لم أكن أنوي قتلكم، أنا حارس السجن لم أقتل أحدا، اتركوني، أتوسل إليكم.

(باسم يمسك السلاح ويصوبه نحوه)

باسم : تتوسل إلينا الآن، أيها الجبان.

فاطمة : وأطفالنا الذين لا يعرفون التوسل قتلتموهم.

مريم : أطلق عليه النار يا باسم.

الحارس : أنقذوني (يصرخ) سوف يقتلوني.

(صوت أقدام حراس السجن – أصوات متداخلة في الخارج بكلمات عبرية – وأصوات ولغط من المعتقلين – صوت طلقات نارية من الخارج)

باسم : أغلقي باب الزنزانة يا مريم، وأنت يا فاطمة احملي حسام وحاولي إيقافه.

(مريم تتحرك بسرعة في اتجاه الباب محاولة إغلاقه وتنحني كمن يطلق عليها النار – مع سماع صوت الطلقات مع تغير في الإضاءة وإظلام مؤقت وحالة من اللغط، ساعتها يصبح الحارس هو المتخيل ويعود الممثل الذي يلعب دور حسام إلى مكانه).

فاطمة : (تصرخ) أفق يا حسام، فنحن بدونك ينقصنا الكثير.

(تعلو أصوات طلقات الرصاص وتُلقى قنبلة مسيلة للدموع وسطهم، وحالة من الدخان الأسود تحجب الرؤية – الجميع

يسعلون والدخان يغلف موسيقى أغنيـة "بالروح بالدم" وحسام يسعل على صدر فاطمة).

باسم : (وهو يسعل) مهما فعلتم لن نستسلم.

(حسام يسعل بعنف ويقوم وهو يصرخ)

حسام : يا ولاد الكلب.

فاطمة : حسام حبيبي، حمدا على سلامتك.

حسام : فاطمة ماذا يحدث؟

فاطمة : ما يحدث كثير.

(يبدأ الدخان الأسود في الاختفاء وباسـم مصوب السلاح نحو الحارس المتخيل)

حسام : (يجري إليه مسرعا) أعطني السلاح كي نقتله.

مريم : وسنُقتل.

حسام : لنُقتل، المهم أن نقتله.

باسم : لنستغل وجوده معنا قبل أن نُقتل.

(صوت طلقات الرصاص يعلو ويزداد)

حسام : زميلكم معنا، إن حاولتم فعل أي شـيء

قتلناه.

صـــوت : (من الخارج) ماذا تريدون؟

بالعبرية (ينظرون إلى بعضهم)

حسام : نريد كل مراسلي وكالات الأنباء في بلدنا المحتل، وإن لم تنفذوا... قتلنا زميلكم وعليكم التنفيذ.

(ويطلق حسام طلقًا ناريا في الهواء مع أغنية بالروح بالدم)

إظـــلام

المشهد الحادي عشر:

الأربعة المعتقلون يقفون في المواجهة وفلاش كاميرات متتابع ومتلاحق على وجوههم، وكل منهم (كأنه) ممسك بحديد الزنزانة خلف القضبان – الصوت مجسم.

حسام : يا كل مراسلي وكالات الأنباء في فلسطين المحتلة، هل أكتفيتم بنقل صور المجازر التي تحدث؟ أين دوركم وبشر من لحم ودم وأطفال يقتلون بلا جريرة؟ أين مجلس الأمن الخائن لمعنى الأمن؟

فاطمة : يا جمعيات حقوق الإنسان، ألهذا الحد

أنتم كاذبون؟ من يقتـل فـي فلسـطين إنسان.

مريم : يا عرب، يـا مـن ينفقـون مليـارات الدولارات على الفياجرا كي يعلنوا عن ذكورتهم على الفراش... أين رجـولتكم وفلسطين العربية فتاة ينتهك عرضها في غرف نوم الصهاينة كـل ثانيـة؟ هـل اكتفيتم برجولتكم في غرف النوم؟

فاطمة : يا أوروبا التي تحارب جنون البقر مـن أجل صحة مواطنيهـا... أنقـذونا مـن جنون الصهاينة من أجل صحة الحيـاة على الكرة الأرضية.

باسم : يا جمعيات حقوق الحيوان... يـا مـن تقيمون للحيوانات محميات... وتنفقـون مليارات الدولارات على حيوان خوفًـا عليه من الانقراض، هناك حيوان نوعه آدمي، جنسه فلسطيني من أصل عربي، سوف يقضى عليه في موطنه الأصـلي

من قِبل فيروسات ظهرت حديثًا في موطنه الأم، واكتُشف الفيروس منذ عام ٤٨ بعلمكم واسألوا بلفور، هذا الفيروس يسمى إسرائيل وآخر أنواعه التي تبيد البشر يسمى شارون وأنتم تعلمون أنه يتكاثر وينمو وينتقل من بلد إلى آخر بعدوى الخيانة... وأبحاثكم العلمية وتجاربكم عليه ومعه تشهد على أنه قاتل ومصاص دماء.

فاطمة : يا أوروبا التي سلمت رأسها للصهاينة يفعلون بها كيف شاءوا... دوركم قادم.

حسام : يا أوروبا المسيحية التي جمعت نفسها وقامت بحملة ضد "صلاح الدين" من أجل الدفاع عن بيت المقدس كما تدعون... أين حملاتكم والصهاينة يعربدون في بيت المقدس أم إنكم لا تجتمعون إلا على زور.

فاطمة : يا عرب

باسم : يا عرب

مريم : يا عرب

حسام : يا عرب

الجميع : يا مسلمين – يا موحدين

مريم : يـا حكـام العـرب... امـرأة قالـت وامعتصماه، حارب من أجلها جيش.

فاطمة : وأطفالنا تُقتل ولحمهم الأخضر الذي لـم ينضج بعد يمزق برصاص الصـهاينة، ودماؤهم حـول البيـوت الفلسـطينية تشهد... والصهاينة يغتسـلون بـدمائهم ويدنسون المسجد الأقصـى ويقيمـون شعائر على جثث الفلسطينيين العرب... يا عرب.

باسم : يا مسلمون

مريم : يا مسلمون

باسم : يا مسيحيون

حسام : يا أيها اليهود المعتدلون

فاطمة : يا أتباع "ماني" و"كونفوشيوس"

حسام : يا عباد الشمس... يا عبـاد القمـر...
يا أصحاب النظريات.

باسم : يا علمانيون

حسام : يا شيوعيون

الجميع : يا أصحاب المعتقدات في كل ملة وكـل
دين، يا أبناء آدم، هنا أخ لكم من أبنـاء
آدم يقتل دون حق.
يا أيها الإنسان في أي مكان، هنا يقتـل
الإنسان علـى يـد الصـهاينة الـذين
لا ينتمـون إلـى أي ملـة وأي ديـن
وشريعتهم هي القتل... أنقذونا، أنقـذوا
آدميين مثلكم يريدون أن يعيشوا ويناموا
مثلكم في هدوء ولـيس علـى صـوت
الرصاص.
أنقذونا... أنقذونا... أنقذونا.
(طلقات رصاص تصـوب نحـوهم –
يبدءون في السقوط على الأرض واحدا
تلو الآخر مع نـزول أغنيـة "بـالروح

بالدم، بالشهداء فـي حضـن الأم" مـع مقاومة كل منهم للموت، ثـم يسـقطون جميعا على الأرض مع نهاية الأغنية).
ينزل من (السوفيته) أعلى المسرح علم فلسطين يغطيهم جميعا.
الشاشة في الخلفيـة تسـتعرض سـجل جرائم الصهاينة مع أغنية:-

بـــــــالروح بالــــــــــدم
بالشــهداء فــي حضــن الأم

وتكتب أصابع الآلة الكاتبة على صوت طلقات رصاص الصهاينة:

ولــم ننتهِ بعــد
نحــن لهــــا

إظــــلام

الإصـــدارات

صدر للمؤلف:

* **"بتول"** **ديوان شعر بالعامية**
- إصدار دار سما للنشر والتوزيع ١٩٩٩.
* **"الرحبة"** **أوبريت**
- إصدار المركز القـومي للمسـرح والموسـيقى والفنون الشعبية ١٩٩٨.
- سلسلة كتابات جديدة، الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب ٢٠٠٢.
- إصدار مكتبة الأسرة ٢٠٠٤.
* **"قبل صدور الحكم"** **مسرحية**
- إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢.

إصدارات تحت الطبع:

* "أمير الفقراء – السيرة والمسـيرة للسـيد أحمـد البدوي" مسرحية
* "يووه إس إيه" مسرحية كوميدية
* "عنبر ٩" (أحوال مستعصية) مسرحية